جماليات التشكيل المقطعي
في سـورة الفجـر
دراسـة صوتيـة

دكتور/ خالد إبراهيم مصطفى متولي العايشة

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بكفر الشيخ – جامعة الأزهر
والأستاذ المشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة جازان
المملكة العربية السعودية

مقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، أنزلَ خيرَ كُتُبِهِ على خيرِ رُسلهِ ، وجعله بلسانٍ عربيٍّ مبين ، والصلاةُ والسلامُ على النَّبيِّ الأميِّ العربيِّ ، وعلى الآلِ والصِّحْبِ الكرامِ ، وعلى التابعينَ لهم بإحْسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

أمَّا بعـــدُ ،،،،،

فعندما بعثَ اللهُ سبحانَه وتعالى الأنبياءَ والرُّسلَ للنّاسِ دُعاةً للتّوحيد أيّدهم بالمعجزات التي تتناسبُ وحياةِ هؤلاءِ الأُمم، أمّا النّبيُّ محمدٌ ﷺ فقد أيّده الله بمعجزةٍ خالدةٍ إلى يوم القيامة ألا وهي القرآنُ الكريمُ الذي تحدّى اللهُ تعالى به كفّارَ قريشٍ وغيرَهم أنْ يأتوا بسورةٍ واحدةٍ مثلِ سُوَرِ القرآنِ فعجزوا، وهذا مِنْ إعجازِ القرآنِ الكريمِ " وكان ذلك في زمانٍ سَما فيه شأنُ البيانِ، وجلَّت مكانتُه في صدورِ أهلِه، وعُرِفوا باللسنِ والفصاحةِ، وقوةِ العارضة في الإعرابِ عن خوالجِ النفوسِ ، والإبانةِ عن مشاعرِ القلوبِ" (١) .

" أمَّا القرآنُ الكريمُ فإنَّه في الذُّرْوةِ العُليا فصاحةً وبلاغةً وبيانًا، لا قدرةَ لأحدٍ مهما عَلا قَدْرُه في البلاغةِ والأدبِ أن يُباريَه أو يُجاريَه، أو يقترحَ فيه إبدالَ كلمةٍ بكلمةٍ، أو حذفَ كلمةٍ أو زيادةَ كلمةٍ، أو تقديمَ واحدةٍ وتأخيرَ أخرى، مع أنَّه لم يُغلقْ دونَهم أبوابَ المعارضةِ، بل فتحها لهم على مَصاريعها، ودعاهم إليها أفرادًا وجماعات، وتحدَّاهم بسورةٍ من

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (المتوفى ٤٠٣هـ) : ص٥ – تح/ السيد أحمد صقر – دار المعارف مصر – الطبعة الخامسة ١٩٩٧م .

سُوره، فعجزوا جميعًا عن الإتيان بمثلِ آيةٍ من آياته، فأدركوا من خلالِ عجزِهم أنَّه ليس من كلامِ البشرِ، بل هو من كلامِ خالقِ القُوَى والقَدَر"[١] .

وإعجازُ القرآنِ الكريمِ على أنواعٍ ؛ فهناك : الإعجازُ البلاغيُّ ، والإعجازُ العلميُّ ، والإعجازُ الصوتيُّ ، والإعجازُ الرَّقميُّ ، والإعجازُ التّشريعيُّ ، والإعجازُ الإصلاحيُّ .

وأهمُّ هذه الأنواعِ الإعجازُ البلاغيُّ كما يُعرَف أيضًا بالإعجازِ البيانيّ، فالعربُ أهلُ البلاغةِ والفصاحةِ والأدبِ، وكانت لهم الأسواقُ للتّباري في الفصاحةِ والبيانِ والشِّعرِ، ومع كُلِّ بلاغتِهم عجزوا عن الإتيانِ بمثلِ سورةٍ من سورِ القرآنِ أو آيةٍ من آياته، كما أنّ التركيباتِ اللُّغويةَ واللَّفظيّةَ في القرآنِ تختلفُ عمّا سواه .

ويُرَكِّزُ هذا البحثُ على نوعٍ من أنواعِ الإعجازِ في القرآنِ الكريمِ ، وهو الإعجازُ الصوتيُّ، فلقد نزل القرآنُ الكريمُ نزولاً صوتيًّا، ولم ينزلْ مُدَوَّنًا في سطورٍ أو مكتوبًا في كتابٍ، كما تمَّ تبليغُه أيضًا تبليغًا صوتيًّا من لدن جبريلَ عليه السلام– مَلَكُ الوحي الأمينُ – إلى رسولِ الله ﷺ ثمَّ إلى الناسِ، وما زالت طريقةُ القراءةِ والإقراءِ الشفويّ هي الطريقةَ الوحيدةَ المتواترةَ في تبليغه وإسماعِه وضبطِه وإتقانِه منذ لحظةِ نزولِه حتى اليوم وإلى يومِ القيامةِ بإذن الله تعالى .

(١) دراسات في علوم القرآن – محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) :ص٣٣١ – دار المنار – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ–١٩٩٩م

ويُعالجُ البحثُ ظاهرةً من أهمِّ الظواهرِ الصوتيةِ في القرآنِ الكريمِ ، وهي (المقطع الصوتي) من الناحية التطبيقية ، وخاصَّةً في القرآنِ الكريمِ ، ومِنْ هنا تمَّ اختيارُ سورةٍ من سورِ القرآنِ الكريمِ ، وهي (سورة الفجر) وتمَّتْ كتابتُها كتابةً مقطعيةً صوتيةً (أي بحسب النطق أو التلفظ بالكلمات من مخارجها، لا بحسب النظام الكتابي لها) .

أهدافُ البحث :

لقد جاءت هذه الدراسةُ ساعيةً للوصولِ إلى:

١- الكشفِ عن البنيةِ المقطعيةِ الصوتيةِ للقرآنِ الكريمِ، والوقوفِ على خصائصِ النسيجِ المقطعيّ في القرآنِ الكريمِ ، بغرضِ إثراءِ المكتبةِ القرآنيةِ بدراساتٍ من هذا النوعِ .

٢ -تحديدِ أنواعِ المقاطعِ الصوتيةِ ، بهدفِ تحليلها وتفسيرها .

٣- الوقوفِ على أبرزِ جمالياتِ التشكيلاتِ الصوتيةِ ، وربطِها بالدلالةِ ، ومن أجلِ تحقيقِ هذه الأهدافِ اعتمدتُ الكتابةَ المقطعيةَ للكلماتِ القرآنيةِ ، وقد راعت الكتابةُ المقطعيةُ ما يلي :

أ- اعتمادَ الصوتِ لا الكتابةِ في عمليةِ التقطيعِ في القراءة المشهورة (حفص عن عاصم) ، وذلك لتحري الدقةِ في الوقفِ والإدغامِ وغير ذلك .

ب – عالجت الكتابةُ المقطعيةُ الحرفَ المشدَّدَ بفكِّ تشديدِه وتحويلِه إلى حرفين، الأولُ منهما ساكنٌ، والآخرُ متحرّكٌ .

ج- أثبتت الكتابةُ المقطعيةُ الحروفَ التي تُنطَقُ عند القراءةِ ولا تُكْتَبُ، مثل الألف في (ذلك) .

٤- لم تعتدّ الكتابةُ المقطعيةُ بالحروفِ المكتوبةِ والتي تسقطُ عند النطقِ وصلًا مثل الياء والألف في مثل : (في البلاد) .

٥- اهتمت الكتابةُ المقطعيةُ بأل الشمسيةِ والقمريةِ من حيثُ الحذفُ أو الإثباتُ .

٦- وُضِعَتْ نونٌ ساكنةٌ بدلًا من التنوينِ ، بينما وُضِعَتْ ألفٌ بدلًا عن تنوين النصبِ .

هذا ، وقد اقتضت طبيعةُ البحثِ أن يأتيَ في مقدمةٍ ، وتمهيدٍ ، ومبحثين ، وخاتمة . ففي المقدمةِ بيَّنتُ أهميةَ الموضوعِ وأهدافَ البحثِ ، وأما التمهيدُ فقد قسَّمتُه قِسمين : القسمُ الأولُ للحديثِ عن سورةِ الفجر وفضلِها ومقاصدِها، والقسمُ الثاني لتعريفِ المقطعِ ، وأنواعِه ، وأهميةِ المقاطعِ في اللغة العربية .

وجاء المبحثُ الأولُ بعنوان (الإتيان بالمقطع بما يتناسب ومقصد الآيات القرآنية) حيث قسمتُ مقاصدَ السورة – كما ورد في كتب التفسير – إلى خمسة مقاصد ، ووضحتُ من خلالها كيف اتسقت المقاطع الصوتية مع المقصد الذي أتت في سياقه .

وجاء المبحثُ الثاني بعنوان (اختلاف المقطع تبعا لاختلاف القراءة) ووضحت فيه كيف أثرت القراءات القرآنية في اختلاف التوزيع المقطعي للآيات القرآنية ، وذلك يكون بزيادة مقطع أو حذفه ، أو زيادة صامت أو

حذفه ، أو زيادة حركة أو حذفها ، مما يترتب عليه تغيير في التوزيع المقطعي . ثم أردفت البحث بخاتمةٍ اشتملت على أهم نتائج الموضوع .

وبعد ، فما كان من توفيق وصواب فمن الله وحده، فهو صاحب الفضل والمن ، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان ، والله أسأل أن يكون عملي هذا صالحا ، ولوجهه خالصا ، وأن ينفع به طلاب العلم في كل زمان ومكان ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

دكتور / خالد إبراهيم مصطفى متولي العايشة

سورة الفجر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ٓيْءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ الفجر: ١ – ٣٠

تمهيد

أولا : سورة الفجر وفضلها

سورةُ الفجرِ مكيَّةٌ بلا خلافٍ ، نزلت بعد سورة الليل، وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي من طرق عن ابن عباس قال : نزلت {وَالْفَجْر} بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير وعائشة مثله. وآياتُها ثلاثون، أو تسعٌ وعشرون آية ، وكلماتُها مئةٌ وتسعٌ وثلاثون كلمةً ، وحروفُها خمسُ مئةٍ وسبعةٌ وتسعون حرفًا (١) .

سورةُ الفجرِ، سورةٌ سمَّاها اللهُ بهذا الاسمِ المنعشِ للنفسِ، المريحِ للصدرِ والقلبِ، بِاسْم هذا الوقت الذي يبدأ به النهارُ، ويُسْفرُ به الصبحُ، ويتنفس فيه الإنسانُ أجملَ نَفَسٍ في الحياة، كما قال ربُّنا : [وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ] (٢) .

سورةٌ تأذنُ بميلادٍ جديدٍ لحياةٍ جديدةٍ، بحركةٍ جديدةٍ كما تشيرُ كلمةُ (الفجر) عنوانًا على هذه السورة، إشارة إلى موضوعها، وهو يوم القيامة، إيحاءات قرآنية لطيفة، كأنَّ هذا الاسمَ عنوانٌ على هذه السورة، يوحي الله من خلاله إلى العباد أن الذي يعيد الحياة للفجر بعد الليل إذا يسري فيمضي الليل ويأتي الفجر إيذانًا بيوم جديد من حياة جديدة، فيه عمل جديد في شؤون جديدة، فيه رزق جديد، فيه أحوال غير الأمس، إذًا الذي قدر على إحداث تلك الآية مرة بعد مرة أمام أعينكم، لقادر على أن يعيد الحياة كلها من جديد، يوم يبعث العباد .

---

(١) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين الشافعي : ٣٩٨/٣١ – دار طوق النجاة، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م .

(٢) سورة التكوير/١٨ .

فضلها

ومن فضائلها : ما أخرجه النسائي عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: صَلَّى مُعَاذٌ صَلَاةً، فَجَاءَ رَجُلٌ فَصَلَّى مَعَهُ فَطَوَّلَ، فَصَلَّى فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ : مُنَافِقٌ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ الْفَتَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُ أُصَلِّي مَعَهُ فَطَوَّلَ عَلَيَّ، فَانْصَرَفْتُ وَصَلَّيْتُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَعَلَفْتُ نَاضِحِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذٍ : " أَفَتَّانًا يَا مُعَاذُ ؟ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} {وَالْفَجْرِ} ، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} ؟ "[1] .

مقاصد هذه السورة

تشتمل هذه السورة على مقاصدَ ستةٍ :

(١) القسم بالمشاهد والخلائق على أن عذاب الكافرين لا محيص منه .

(٢) ضرب المثل بالأمم البائدة كعاد وثمود .

(٣) تصوُّر الإنسان لما يبتليه الله به من أحوال .

(٤) التهديد بيوم الجزاء .

(٥) كرامة النفوس الراضية المرضية، وما تلقاه من النعيم بجوار ربها[2].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) : ٣٣٥/١٠ – حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي – أشرف عليه : شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

(٢) ينظر : تفسير المراغي (المتوفى١٣٧١هـ): ١٥٤/٣٠، ١٥٥– مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة الأولى١٣٦٥هـ /١٩٤٦م

ثانيا : المقطع الصوتي

المقطعُ الصوتيُّ : هو كلُّ جزءٍ منطوقٍ من أجزاء الكلمة نتيجة إخراج دفعة هوائية من الرئتين يستريح عند نطقها النفس سواء كان ذلك الجزء المنطوق ينتهي بإغلاق تام لجهاز النطق أو بإغلاق جزئي . واختلفت آراء علماء الأصوات حول تعريف المقطع الصوتي وذلك بحسب نظرة كل واحد منهم إليه وتعريفه له من الزاوية التي ينظر منها إليه ، إلا أنه يمكن القول إن هناك اتجاهين رئيسين لتعريف المقطع الاتجاه الأول هو الاتجاه الفونيتيكي وهو الاتجاه الذي يعنى بدراسة أصوات اللغة ويبين كيفية نطقها وطبيعتها الفيزيائية ، والاتجاه الآخر هو الاتجاه الفونولوجي وهو الاتجاه الذي يعنى بدراسة القوانين الصوتية والتعرف على مدى تأثر الأصوات بعضها ببعض عند تركيبها .

"ولم يُعْنَ اللغويون العرب وعلماء التجويد بالمقطع الصوتي، على الرغم من معرفة بعضهم به، مثل ابن الدهان، لكن الأصواتيين العرب المحدثين توسعوا في دراستهم له ، متأثرين في ذلك بالدرس الصوتي الغربي "[1] .

تعريف المقطع

المقطع في اللغة : مأخوذ من القطع ، وهو إبانة بعض أجزاء الشيء من بعض ، والمقطع : غايةُ مَا قُطِعَ . يُقَالُ : مَقْطَعُ الثوبِ

(١) المدخل إلى علم أصوات العربية ، د . غانم قدوري الحمد : ص١٨٩ – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م – دار عمّار للنشر والتوزيع – عمّان الأردن .

ومَقْطَعُ الرمْلِ لِلَّذِي لَا رَمْلَ وَرَاءَهُ. والمَقْطَعُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُقْطَعُ فِيهِ النَّهْرُ مِنَ المَعابرِ .ومَقاطِعُ القرآنِ:مواضعُ الوقوفِ، ومَبادِئُه: مواضعُ الابتداءِ[١] .

وأما في اصطلاح الصوتيين فلم يتفق علماءُ الأصوات على تعريفٍ محددٍ له " فمنهم من نحا نحوَ الجانبِ الصوتيّ المحض phonetic aspect أي : النطق الفعلي antic ulation ، وآخرون اعتمدوا الجانبَ الفنولوجي phonological معيارًا للحكم ، أي الجانب الوظيفي للمقطع ودوره في بناء الكلمة في اللغة المعينة "[٢] .

أما الذين اعتمدوا على العامل الفسيولوجي أو العضوي للنطق فقد عرَّفوا المقطعَ بأنه : " خفقةٌ صدريةٌ "[٣] .

وأما الذين اعتمدوا على الجانب الفنولوجي فقد عرَّفوا المقطعَ عدةَ تعريفات :

١- الوحدةُ التي يمكن أن تحملَ درجةً واحدةً من النبر [٤] .

٢- وحدةٌ تحتوي على صوتِ علةٍ واحدٍ – واحد فقط – إما وحدَه أو مع سواكن بأعداد معينة وبنظام معين [٥].

(١) ينظر : لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) : (ق ط ع) – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ .

(٢) علم الأصوات د . كمال بشر : ص٥٠٤ – دار غريب للطباعة والنشر ٢٠٠٠م .

(٣) السابق .

(٤) دراسة الصوت اللغوي د . أحمد مختار عمر : ص٢٨٦ – عالم الكتب ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(٥) السابق .

كما يمكن تعريف المقطع أيضا من الناحية الوظيفية بأنه : تتابع صوتي من الجوامد (الصوامت) والذوائب (المصوتات) ، ويتكون عادة من (حركة) تعتبر نواة المقطع ، يحوطها بعض الجوامد[١] .

وقد عرَّفه برتيل مالمبرج بأنه : تأليفٌ أصواتيٌّ بسيطٌ ، تتكون منه واحدًا أو أكثر – كلماتُ اللغة ، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي ، ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها [٢] .

– أنماط المقاطع

للمقاطعِ في اللغة العربية ستةُ أنماطٍ ، ولكي نمثلَها نرمز للحرف الساكن أو الصحيح بالحرف (ص) ، وللحركات القصيرة بالحرف (ح) ، وللحركات الطويلة بالحرفين (ح ح) ويعتبران صوتًا واحدًا ، وإليك هذه الأنماط الستة[٣] :

١– مقطع قصير مفتوح ، ويرمز إليه بالرموز (ص ح) ، مثل (كَ) من كلمة كتب .

٢– مقطع متوسط مفتوح ، ويرمز إليه بالرموز (ص ح ح) ، مثل (كا) من كلمة كاتب .

(١) المدخل إلى علم أصوات العربية ، د . غانم قدوري الحمد : ص١٩٢ .

(٢) علم الأصوات تأليف برتيل مالمبرج – ترجمة ودراسة د . عبد الصبور شاهين : ص١٦٤ – مكتبة الشباب .

(٣) ينظر : التشكيل الصوتي في اللغة العربية فنولوجيا العربية ترجمة الدكتور ياسر الملاح : ص١٣٣ – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٤٨٣م – النادي الأدبي الثقافي – جدة المملكة العربية السعودية .

٣- مقطع متوسط مغلق ، ويرمز إليه بالرمز (ص ح ص) ، مثل (يَكْ) من كلمة يكتب .

٤- مقطع طويل مغلق بحركة طويلة ، ويرمز إليه بالرمز (ص ح ح ص) ، مثل كلمة (بابْ) .

٥- مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة ، ويرمز إليه بالرمز (ص ح ص ص) ، مثل كلمة (سِحْرْ)

٦- مقطع زائد في الطول، ويرمز إليه بالرمز (ص ح ح ص ص)، مثل كلمة (ضالّ) .

والأنماط الأربعة الأولى تأتي بادئة ومتوسطة وأخيرة ، وأكثرها شيوعا النوع الأول (ص ح) ، وأقلها شيوعا النوع السادس (ص ح ح ص ص) ، والمقطعان الخامس والسادس يأتيان أخيرين أو مفردين فقط ، ويختصان بحالة الوقف .

- قواعد المقطع في اللغة العربية

من خلال دراسة المقاطع في اللغة العربية من خلال النصوص القرآنية ، وأحاديث النبي ﷺ ، والشعر العربي تبين أن هناك قواعد للمقطع في اللغة العربية ، من أهمها[١] :

١- يبدأ المقطع في اللغة العربية بصوت صامت يتبعه صوتٌ صائتٌ دائمًا ، ولا يجتمعُ صوتان صامتان في أول المقطع ، وهذا ما عبّر عنه علماء العربية بقولهم : (لا يبتدأ بساكن) ، أي بصوت صامت لا تتبعه حركة .

(١) ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية : ص١٩٧ وما بعدها .

٢- لا يبدأ المقطع في اللغة العربية بصوت صائت، بل يكون الصوت الصائت في المقطع ثانيًا ، خلافا لما ذهب إليه د . تمام حسان .

٣- تتكون الكلمة العربية من مقطع واحد ، أو عدة مقاطع ، ومهما اتصل بالكلمة من سوابق ولواحق لا يزيد عددُ مقاطعها على سبعة مقاطع .

٤- لا يوجد مقطع صوتي يتكون من صوامت فقط أو صوائت فقط، وإنما يتكون منهما معا .

٥- عند تقسيم الكلمة إلى مقاطع لا ننظر إلى عدد حروفها ، وإنما ننظر إلى عدد الحركات فيها ، فعلى قدر الحركات يكون عدد المقاطع .

- أهمية المقاطع في الدراسة الصوتية

للمقطع أهميةٌ عظيمةٌ في الدراسة الصوتية ، وقد أشار إليها الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر ، وحددها في الأمور الآتية[١] :

١- أنَّ اللغةَ كلامٌ ، والمتكلمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها ، وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع ، فالمقطع يُخرجُ الفونيمَ إلى الحياة .

٢- اعتبار التركيب المقطعي يساعد كثيرا في اتخاذ قرار بالنسبة لأفضل تحليل لصوت أو مجموعة صوتية تعد من الناحية الصوتية غامضة

٣- أن المقطع هو مجال العمل بالنسبة للطرق الثلاثة الأكثر أهمية التي تعدل أصوات الكلمات ، وهي :

(١) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ص٢٨١ – ٢٨٣ .

أ – النبر ، (سواء كان نبر كلمة أو نبر جملة) .

ب – الإطالة ذات المعنى .

ج– صعود وهبوط درجة الصوت .

٤– أن المقطع موجود سواء أردنا أم لم نرد :

أ– فكثير من المقاييس العروضية في اللغات تقوم على أساس من المقطع .

ب – بعض طرق الكتابة قد وضع على أساس مقطعي .

٥– أن المقطع يشكل درجة في السلم الهرمي للوحدات الصوتية التي يشكل كل منها من أصغر وحدة تسبقه . الوحدة الصغرى هي الفونيم ، ثم يأتي المقطع المكون من فونيمات بترتيب معين .

٦– أن التسجيلات أثبتت أن المتحدثين المتمهلين الذين يظنون أنهم يتكلمون في شكل أصوات منفصلة – هم واهمون ؛ لأنهم إنما ينتجون مقاطع في واقع الأمر .

٧– أن المقطع أساسي لاكتساب طريقة النطق المطابقة لنطق أصحاب اللغة

المبحث الأول

الإتيان بالمقطع بما يتناسب ومقصد الآيات القرآنية

١- المقصد الأول : القَسَم بالمَشاهِد والخلائق

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ ﴾ [١] .

أقسم الله عز وجل في بداية هذه السورة الكريمة ببعض مخلوقاته ، كالفجر ، و" هو الوقت الذي ينشق فيه الضوء، وينفجر النور، وقد أقسم ربنا به، لما يحصل فيه من انقضاء الليل، وظهور الضوء، وما يترتب على ذلك من المنافع كانتشار الناس وسائر الحيوان من الطير والوحش لطلب الرزق"[٢] ، وأقسم أيضا بالليالي العشر ، و" هي عشر ليال يتشابه حالها مع حال الفجر، فيكون ضوء القمر فيها مطارد لظلام الليل إلى أن تغلبه الظلمة، كما يهزم ضوء الصبح ظلمة الليل حتى يسطع النهار، ولا يزال الضوء منتشرا إلى الليل الذي بعده"[٣] ، والشفع والوتر ، وهما " قيل: إن المراد به كل الخلق، فالخلق إما شفع وإما وتر، وقيل المراد بالشفع: يوما التشريق الأول والثاني اللذان يجوز التعجل فيهما والوتر اليوم الثالث"[٤]. وقيل غير ذلك . وأقسم بالليل إذا يسري ، وهو " إذا جاء وأقبل واستمر ثم أدبر، والتقييد بسريانه لما فيه من وضوح الدلالة على كمال

---

(١) الفجر/١ – ٥ .

(٢) تفسير المراغي : ١٤٠/٣٠ .

(٣) نفسه .

(٤) تفسير القرآن العظيم «جزء عم» المؤلف: عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي : ص٩٨ – دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

القدرة ونور النعمة "[١] ، ثم يعقب على هذا القسم بهذا الاستفهام التقريري (هل في ذلك قسم لذي حجر) أي : " إن في ذلك قسما لذي لب وعقل. إن في ذلك مقنعا لمن له إدراك وفكر "[٢] .

وقد جاء النسيج المقطعي في هذه الآيات الكريمة متناسقا مع جوها العام ، حيث كثرت المقاطع المتوسطة المغلقة ، وختمت بالمقطع الطويل المغلق (ص ح ص ص) الذي جاء في فواصل هذه الآيات ليمنح القارئ أو المستمع الفسحة من الوقت للراحة والتأني والتدبر في نهاية الآيات ، ففي هذا المشهد " جمال هادئ رفيق ندي السمات والإيقاعات، كهذا المطلع الندي بمشاهده الكونية الرقيقة، وبظل العبادة والصلاة في ثنايا تلك المشاهد.. « وَالْفَجْرِ. وَلَيالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ..» [٣]

(١) السابق .

(٢) في ظلال القرآن لمؤلفه سيد قطب (المتوفى ١٣٨٥هـ) : ٣٩٠٣/٦ – دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة السابعة عشرة ١٤١٢هـ

(٣) في ظلال القرآن لمؤلفه سيد قطب (المتوفى ١٣٨٥هـ) : ٣٩٠٣/٦ – دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة السابعة عشرة ١٤١٢هـ

التحليل الصوتي والمقطعي للآيات:

وَلْ / فَجْرْ /* / وَ / لَ / يا / لِنْ / عَشْرْ
ص ح ص/ص ح ص ص/* /ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح
وَ شْ / شَفْ / عِ / وَ لْ /وَتْرْ /*/ وَ لْ /
ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص /ص ح ص ص/*/ص ح ص/
لَيْ / لِ / إِ / ذا / يَسْرْ /*/ هَلْ /
ص ح ص/ ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص ص/*/ ص ح ص/
في / ذا /لِ / كَ / قَ / سَ / مُنْ / لِ /
ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/
ذي / حِجْرْ /*/
ص ح ح /ص ح ص ص/*/

والمتتبع للحركة المقطعية في هذه الآيات يلحظ أنها اشتملت على أربعة أنواع من المقاطع ، وكانت على النحو التالي :

١- المقطع القصير (ص ح) وعدد تجمعاته عشرة مقاطع .
٢- المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) وعدد تجمعاته خمسة مقاطع .
٣- المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) وعدد تجمعاته تسعة مقاطع .
٤- المقطع الطويل المغلق (ص ح ص ص) وعدد تجمعاته خمسة مقاطع .

فيكون بذلك مجموع المقاطع في هذه الآيات تسعة وعشرين مقطعًا ، تكاد أن تتساوى فيها المقاطع المفتوحة والمقاطع المغلقة ، على نحو يثير الدهشة والإعجاب ، فهذا التناسب العددي للمقاطع ولّد إيقاعا مقطعيا وصوتيا على مستوى الكلمات، فـ " للقرآن الكريم نظام صوتي

وجمال لغوي ، ينتظم باتساقه وائتلافه في الحركات والسكنات ، والمدات والغنات اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا ، فهذا الجمال الصوتي هو أول شيء أحسته الأذن العربية "[١] .

كما يلاحظ حذف الياء في قوله تعالى:(وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ)[٢] من كلمة (يسرِ) والأصل فيها (يسري) للتخفيف؛ لموافقة مقاطع الفواصل السابقة واللاحقة، يقول سيد قطب: " فياء (يسري) حذفت قصدًا للانسجام مع الفجر، وعشر، والوتر، وحجر ... "[٣].

وهكذا نرى أن ختام الآيات بهذا المقطع الطويل المغلق (ص ح ص ص) " يساهم في خلق جوٍّ من الهدوء النفسي كي يبدأ رحلته من جديد مع الآية التالية "[٤] .

ومن هنا ندرك أن المقطع الصوتي بأشكاله المختلفة الواردة في هذه الآيات قد أدى دوره في تصوير هذه الحالة التي ينبغي أن يتصف بها المؤمن ، وهي التأمل والتدبر في ملكوت الله عز وجل وفي آياته الكونية إن كان ذا عقل يميز وقلب يعي .

(١) علوم القرآن لمؤلفه رشدي عليان وآخرين : ص١٢٦ – دار الكتب للطباعة والنشر – بغداد ١٩٨٠م

(٢) الفجر/٤ .

(٣) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب (المتوفى١٣٨٥هـ) : ص١٠٥ – دار الشروق – الطبعة ١٧.

(٤) النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة – دراسة صوتية وصفية تحليلية – أطروحة ماجستير للباحث عادل عبد الرحمن عبد الله إبراهيم – ص ٩٩ – الجامعة الإسلامية – غزة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

٢- المقصد الثاني : ضرب المثل بالأمم البائدة كعاد وثمود

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾[١] .

في هذه الآيات الكريمة – بعد أن أقسم الله سبحانه ببعض مخلوقاته – " شرع يذكر بعض قصص الأمم الماضية ممن عاندوا الله ورسوله، ولجوا في طغيانهم، فأوقع بهم شديد العذاب، وأخذهم أخذ العزيز المقتدر الجبار؛ ليكون في ذلك زجر لهؤلاء المكذبين، وتثبيت للمؤمنين الذين اتبعوا الرسول – ﷺ – وناصروه، وتطمين لقلوبهم بأن أعداءهم سيلقون ما يستحقون من الجزاء" [٢] .

(١) الفجر/٦ – ١١ .

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان : ٤٠١/٣١ – إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم مهدي – دار طوق النجاة، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

التحليل الصوتي والمقطعي للآيات:

أَ / لَمْ /تَ /رَ /كَيْ /فَ /عَ /لَ /
ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ص ح/
رَبْ / بُ / كَ / بِ / عادْ /*/ إِ / رَ /
ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح ص/*/ص ح /ص ح/
مَ / ذا / تِلْ / ع / ماذْ /*/ أَلْ / لَ /
ص ح/ص ح ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص/*/ص ح ص/ص ح/
تى /لَمْ / يُخْ / لَقْ / مِثْ / لُ / ها /
ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/
فِلْ /بِ / لاذْ /*/ وَ / ثَ / مو / دَلْ /
ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص/*/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/
لَ / ذي / نَ / جا / بُصْ / صَخْ / رَ /
ص ح/ص ح ح/ ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ ص ح ص/ص ح/
بِلْ / واذْ /*/ وَ /فِزْ / عَوْ / نَ /
ص ح ص/ص ح ح ص/*/ ص ح/ص ح ص/ ص ح ص/ص ح/
ذِلْ / أَوْ / تاذْ / * / أَلْ / لَ / ذي /
ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص/ * / ص ح ص/ص ح/ص ح ح/
نَ / طَ / غَوْ / فِلْ / بِ / لاذْ / * / فَ /
ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص/ * /ص ح/
أَكْ / ثَ / رو / في / هَلْ / فَ / ساذْ /
ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص/
فَ / صَبْ / بَ / عَ / لَيْ / هِمْ / رَبْ / بُ
ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح
كَ / سَوْ / طَ / عَ /ذابْ / * / إِنْ / نَ /
ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ ص ح ح ص/ * /ص ح ص/ص ح/
رَبْ / بَ / كَ / لَ / بِلْ / مِزْ / صادْ / *
ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص/ *

في هذه الآيات الكريمة يبين الله عز وجل بعض مآل ومصير الأمم السابقة الذين كذبوا رسلهم، "وصيغة الاستفهام في مثل هذا السياق أشد إثارة لليقظة والالتفات. والخطاب للنبي- ﷺ- ابتداء . ثم هو لكل من تتأتى منه الرؤية أو التبصر في مصارع أولئك الأقوام، وكلها مما كان المخاطبون بالقرآن أول مرة يعرفونه ومما تشهد به الآثار والقصص الباقية في الأجيال المتعاقبة، وإضافة الفعل إلى «رَبُّكَ» فيها للمؤمن طمأنينة وأنس وراحة. وبخاصة أولئك الذين كانوا في مكة يعانون طغيان الطغاة، وعسف الجبارين من المشركين، الواقفين للدعوة وأهلها بالمرصاد "[1] .

ويلاحظ أن هذه الآيات الكريمة اشتملت على (٩٢) اثنين وتسعين مقطعا ، موزعة على النحو التالي :

١- المقطع القصير المفتوح (ص ح) وعدد تجمعاته (٤٢) اثنان وأربعون مقطعا .
٢- المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) وعدد تجمعاته(٩) تسعة مقاطع.
٣- المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) وعدد تجمعاته (٣٢) اثنان وثلاثون مقطعا .
٤- المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) وعدد تجمعاته (٩) تسعة مقاطع .

وبذلك تكون المقاطع المفتوحة (القصيرة والمتوسطة) قد تفوقت على المقاطع المغلقة (القصيرة والمتوسطة) بزيادة عشرة مقاطع ، وهو ما يتناسب مع مقصد هذه الآيات الكريمة ، التي فيها تسلية لرسول الله ﷺ

(١) في ظلال القرآن : ٣٩٠٣/٦ .

بذكر مصارع الظالمين من الأمم السابقة ، فناسب أن يكون "إيقاعها بين بين. بين إيقاع القصص الرخي وإيقاع المصرع القوي "[١] .

لقد سيطرت الحركة الإيقاعية للمقطع القصير (ص ح) على معظم التجمعات المقطعية للآيات – حيث قاربت نصف المقاطع – ، ومن اللافت للنظر أن المقطع القصير (ص ح) وجدناه ملازما وتابعا في حركته للمقطعين الآخرين (ص ح ص – ص ح ح) ومثال ذلك المقطع (ص ح ص) يليه المقطع (ص ح) ، أو المقطع (ص ح ح) يليه المقطع (ص ح) وهكذا . وهذا كله كان له الأثر البالغ في التشكيل الإيقاعي الصوتي في الآيات ، وخلقت تلك الحركة جوا من حالة التأمل الجمالي في الموضوع الذي تهدف إليه الآيات الكريمة ، ألا وهو ذكر مصارع الظالمين [٢].

وإذا كان للشعر – كما يقول د . إبراهيم أنيس – نواح عدة للجمال ، أبرزها وأسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ ، وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها ، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر ، ويستمتع الصغار والكبار بما في الشعر من موسيقى ، ويدرك الطفل ما فيه من جمال الجرس قبل أن يدرك ما فيه من جمال الأخيلة والصور[٣] ، فإن في القرآن الكريم ما يفوق ذلك من

(١) في ظلال القرآن : ٣٩٠٢/٦ .

(٢) النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة : ص١٣١ .

(٣) موسيقى الشعر د . إبراهيم أنيس : ص٦ ، ٧ – الطبعة الثانية ١٩٥٢م – مكتبة الأنجلو المصرية.

الموسيقى ، حيث جمع القرآن الكريم – كما يقول سيد قطب – بين مزايا النثر والشعر جميعا [١] .

وإني لأدعو القارئ الكريم إلى التأمل في كيفية ورود هذه المقاطع بطريقة فنية عالية الدقة في الآيات التي نحن بصددها ، ففي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ ﴾ جاء ترتيب المقاطع على هذا النسق الرائع ، حيث بدأت الآيات الكريمة بالمقطع القصير المفتوح (أَ – ص ح) يتبعه المقطع المتوسط المغلق (لَمْ – ص ح ص) ثم يأتي المقطع القصير المفتوح مرة أخرى مكررا مرتين (تَ – ص ح ، رَ – ص ح) يتبعهما المقطع المتوسط المغلق (كَيْ – ص ح ص) ، ثم يأتي المقطع القصير المفتوح مرة ثالثة مكررا أربع مرات (فَ – ص ح ، فَ – ص ح ، عَ – ص ح ، لَ – ص ح) يتبعها المقطع المتوسط المغلق (رَبْ– ص ح ص) ثم يأتي المقطع المفتوح مرة رابعة مكررا ثلاث مرات (بُ – ص ح، كَ – ص ح ، بِ – ص ح) يتبعها المقطع الطويل المغلق (عادْ – ص ح ح ص) .

فهذه الروعة والدقة في اختيار المقاطع وخاصة (ص ح ص) المتوسط المغلق ، لا يمكن أن تكون قد جاءت مصادفة ، بل جاءت عن قصد من سميع عليم ، حيث جاء هذا المقطع في مكانه المناسب ، ولا يمكن استبداله بغيره من المقاطع ، فجاء ليعطي الإيقاع والنغم والحركة ، ويحقق لدى القارئ والمستمع المتعة والراحة النفسية .

(١) التصوير الفني في القرآن الكريم : ص١٠٢ .

يعد الانسجام المقطعي من منابع الجمالية واللذة الصوتية في النص القرآني؛ لأن توزيع المقاطع في آيات القرآن يتسم بتناسب موسيقاه، كما أن من مظاهر إعجازه المقطعي احتواؤه على كلمات كثيرة المقاطع لكنها في غاية التناسب والتلاؤم والانسجام، عكس مثيلتها في النصوص الأدبية.

٣- المقصد الثالث : تصوُّر الإنسان لما يبتليه الله به من أحوال

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾[١]

في هذه الآيات الكريمة ردٌّ من الله عزّ وجلّ على مَنْ ظنّ أنّ عطاء الله عزّ وجلّ للإنسان دليلٌ على كرم الله له ، وأنّ منعَه إهانةٌ من الله له ، " فردّ الله تعالى على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة فقال تعالى : كَلَّا أي ليس الأمر كذلك، أي لم أبتله بالغنى لكرامته، ولم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال، وسعة الرزق وقلته، ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جلّ جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته، ويضيق على المؤمن لا لهوانه، لكن لأمر اقتضته حكمة الله تعالى، وإنما يكرم المرء بطاعته، ويهينه بمعصيته، وقد يوسع على الإنسان من أصناف المال ليختبره، أيشكر أم يكفر، ويضيق عليه ليختبره، أيصبر أم يضجر، ويقلق "[٢] .

(١) سورة الفجر /١٥ – ٢٠ .

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل لمؤلفه علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) : ٤٢٧/٤ – تصحيح: محمد علي شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .

التحليل المقطعي للآيات الكريمة

فَ / أَمْ / مَلْ / إِنْ / سا / نُ / إِ /
ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/
ذا /مَبْ / تَ / لا / هُ / رَبْ / بُ /هُ /
ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/
فَ / أَكْ / رَ / مَ / هُ / وَ / نَعْ / عَ /
ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح ص/ص ح/
مَ / هُ / فَ / يَ / قو / لُ / رَبْ / بي /
ص ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/
أَكْ / رَ / مَنْ /*/ وَ / أَمْ / ما / إِ /
ص ح ص/ص ح/ص ح ص/*/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/
ذا / مَبْ / تَ / لا / هُ / فَ / قَ / دَ
ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ ص ح/ص ح/ص ح/ص ح
رَ / عَ / لَيْ / هِ / رِزْ / قَ / هُ / فَ
ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح
يَ / قو / لُ / رَبْ / بي / أَ / ها /
ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/
نَنْ / * / كَلْ / لا / بَلْ / لا / تُكْ /
ص ح ص/ * /ص ح ص/ص ح ح/ ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/
رِ / مو / نَلْ / يَ / تيمْ / * / وَ / لا
ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص/ * /ص ح/ص ح ح
تَ / حاضْ /ضو / نَ /عَ / لا / طَ / عا
ص ح/ص ح ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح

مِلْ / مِسْ / كـــينْ / * / وَ / تَأْ / كُ /
ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص/ * /ص ح/ص ح ص/ص ح/
لو / نَتْ / تُ / را /ثَ / أَكْ /لَلْ /
ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ ص ح/ص ح ص/ص ح ص/
لَمْ / ما / * / وَ / تُ / حِبْ / بو / نَلْ /
ص ح ص/ص ح ح/* /ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ ص ح ص/
ما / لَ / حُبْ / بَنْ / جَمْ / ما / * /
ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ * /

ويلاحظ أن هذه الآيات الكريمة قد اشتملت على (١٠٨) ثمانية مقاطع ومائة مقطع ، موزعة بين المقاطع المفتوحة والمقاطع المغلقة ، وقد احتلت المقاطع المفتوحة نسبة الثلثين منها ، حيث كان عددها (٧٢) اثنين وسبعين مقطعا ، موزعة بين المقطع القصير (ص ح) وعددها (٤٩) تسعة وأربعون مقطعا ، والمقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) وعددها (٢٣) ثلاثة وعشرون مقطعا .

أما المقاطع المغلقة فقد جاءت في هذه الآيات بنسبة الثلث ، وكان عددها (٣٦) ستة وثلاثون مقطعا ، موزعة بين المقطع المتوسط المغلق وعددها (٣٣) ثلاثة وثلاثون مقطعا ، والمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) وعددها (٣) ثلاثة مقاطع .

ومن اللافت للنظر في هذه الآيات الكريمة أن عدد المقاطع المفتوحة يساوي ضعفي المقاطع المغلقة ، مما يدل على أنه " للقرآن الكريم نظام صوتي وجمال لغوي ، ينتظم باتساقه وائتلافه في الحركات

والسكنات والمدات والغنات اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا ، فهذا الجمال الصوتي هو أول شيء أحسته الآذان العربية "[١] .

كما أن الحركة المقطعية التي تشكلت في هذه الآيات التي تصور حال الإنسان الذي يبتليه الله بالنعم أو بالنقم ، وما يظنه من أن هذا من كرم الله له أو إهانته له ، مستخدمة بذلك – في معظمها – المقاطع المفتوحة (القصيرة والمتوسطة) وهو ما يتناسب مع مقصد هذه الآيات ، كما يتناسب أيضا مع نوعية الخطاب القرآني ، فهذه الآيات هي من أطول آيات السورة الكريمة ، وهي " ذات لون خاص في السورة تعبيرا وإيقاعا "[٢] .

فهنا تناسَقَ التعبير مع الحالة المراد تصويرها ، ولذلك جاءت المقاطع المتتابعة في تأنٍ وتؤدة لتصور حال الإنسان الذي يظن بتفكيره السطحي أن ما يأتيه من الله عز وجل من عطاء أو منع دليل على إكرام الله له أو إهانته له ، ثم يأتيه الجواب من الله تعالى " كلا ....." ، أي ليس الأمر كما تزعمون ، فكثرة المقاطع المفتوحة التي تتخللها المقاطع المغلقة بمثابة الوقفات النفسية ، والاستراحات الكلامية ، ومن هنا فأسلوب القرآن الكريم : " أسلوب يؤدي غرضه كاملا غير منقوص، يلين أو يشتد، ويهدأ أو يهيج! ينساب انسيابا كالماء إذا يسقي الغراس، أو يعصف عصفا كأنه صرصر عاتية تبهر الأنفاس "[٣] .

---

(١) علوم القرآن – رشدي عليان وآخرون : ص١٢٦ – دار الكتب للنشر – الموصل (بغداد) ١٩٨٠م.

(٢) في ظلال القرآن : ٣٩٠٢/٦ .

(٣) مباحث في علوم القرآن – صبحي الصالح : ص٣٤٠ – دار العلم للملايين – الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠ .

٤- المقصد الرابع : التهديد بيوم الجزاء

قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله عز وجل مشهدا من مشاهد يوم القيامة، في هذا الموقف العظيم " يجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات كلهم، صفًا صفا أي: صفًا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار. {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} تقودها الملائكة بالسلاسل. فإذا وقعت هذه الأمور فـ {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ} ما قدمه من خير وشر. {وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} فقد فات أوانها، وذهب زمانها، يقول متحسرًا على ما فرط في جنب الله: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} الدائمة الباقية، عملا صالحًا "[2] .

(١) سورة الفجر / ٢١ – ٢٦ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لمؤلفه عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) : ص٩٢٤ – تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠ م .

التحليل المقطعي للآيات الكريمة

كَلْ / لا / إ / ذا / دُكْ / كَ / تِلْ /
ص ح ص/ص ح ح /ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/
أَرْ / ضُ /دَكْ / كَنْ / دَكْ / كا / * /
ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ * /
وَ / جا / ءَ / رَبْ /بُ / كَ / وَلْ / مَ /
ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/
لَ / كُ / صَفْ /فَنْ / صَفْ / فا / * / وَ /
ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ * / ص ح/
جي /ءَ / يَوْ / مَ / ءِ / ذِنْ / بِ / جَ /
ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح/
هَنْ / نَ / مَ / يَوْ /مَ / ءِ / ذِنْ / يَ /
ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/
تَ / ذَكْ / كَ / رُلْ / إِنْ / سا / نُ / وَ
ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح
أَنْ / نى / لَ / هُذْ / ذِكْ / رى / * / يَ /
ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ * /ص ح/
قو / لُ / يا / لَيْ / تَ / ني / قَدْ /
ص ح ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/
دَمْ / تُ / لِ / حَ / يا / تي / * / فَ /
ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/ ص ح ح/ * /ص ح/
يَوْ / مَ / ءِ / ذِنْ / لا / يُ / عَذْ / ذِ /
ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/
بُ / عَ / ذا / بَ / هو / أَ / حَدْ / * / وَ /
ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ * /ص ح/
لا / يو / ثِ / قُ / وَ / ثَا / قَ / هو /
ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/
أَ / حَدْ / *
ص ح/ص ح ص/ *

ويلاحظ أن هذه الآيات الكريمة اشتملت على (٩٩) تسعة وتسعين مقطعا ، موزعة على النحو التالي :

١- المقطع القصير المفتوح (ص ح) وعدد تجمعاته (٤٧) سبعة وأربعون مقطعا .

٢- المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) وعدد تجمعاته (٢١) واحد وعشرون مقطعا .

٣- المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) وعدد تجمعاته (٣١) واحد وثلاثون مقطعا .

ويلاحظ أن المقاطع الطويلة قد اختفت من هذه الآيات ، وجاءت المقاطع القصيرة والمتوسطة متتابعة ، وهو ما ينسجم مع الموقف الذي جاءت من أجله هذه الآيات الكريمة ، فهو موقف مخيف مرعب، يصور مشهدا من مشاهد يوم القيامة ، ففي هذه الآيات " شد وقصف ، سواء مناظرها أو موسيقاها كهذا المشهد العنيف المخيف: «كَلَّا. إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا. وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا. وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ. يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرى. يَقُولُ: يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي. فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ وَلا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ» "[1] .

ففي هذه الآيات يذكر الله عز وجل بعض علامات يوم القيامة ، حيث تدك الأرض وتزلزل وتحرك تحريكا عنيفا ، ويجيء الله عز وجل لفصل القضاء بين العباد مجيئا يليق بجلاله ، وتأتي الملائكة صفوفا ، صفا بعد صف ، ويؤتى يومئذ بجهنم ، والملائكة يجرونها ، كما في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال : " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا

(١) في ظلال القرآن : ٣٩٠٢/٦ .

سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا "[١] . فإذا ما حدث ذلك ، و " إذا جاء الله في يوم القيامة، وجاء الملك الملائكة صفوفًا صفوفًا وأحاطوا بالخلق، وحصلت الأهوال والأفزاع يتذكر الإنسان يتذكر أنه وُعِدَ بهذا اليوم، وأنه أعلم به من قبل الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنذروا وخوفوا "[٢] ، ولكن كيف تكون له الذكرى وقد فات أوانها ، وذهب زمانها ، فيقول متحسرا على ما فرط في جنب الله : " يا ليتني قدمت لحياتي " وهي أمنية فيها الحسرة الظاهرة ، فيومئذ لا يعذب عذاب الله أحد ، ولا يوثق وثاق الله أحد ، بل عذابه أشد ووثاقه أشد .

وبناء على هذا الموقف الرهيب المفزع تتابعت المقاطع القصيرة والمتوسطة في هذه الآيات الكريمة، التي توحي بالخفة والرشاقة من ناحية ، والسرعة في الحركة من ناحية أخرى .

ومجيء المقاطع القصيرة والمتوسطة بهذا التتابع يؤكد أن " التعبير القرآني تعبير فريد في علوه وسموه، وأنه أعلى كلام وأرفعه ، وأنه بهر العرب فلم يستطيعوا مداناته والإتيان بمثله ، مع أنه تحداهم أكثر من مرة "[٣] .

" في وسط الهول الذي ترسم صورته هذه الفقرات: {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ

(١) صحيح الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) : ٢١٨٤/٤ – تح/ محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢) تفسير القرآن العظيم «جزء عم» لمؤلفه : ص١٠٣ .

(٣) التعبير القرآني د . فاضل صالح السامرائي : ص ٨ – دار عمار – عمان الأردن – الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي، فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} . في وسط هذا الروع الذي يبثه ذلك العرض العسكري –الذي تشترك فيه جهنم– بموسيقاه العسكرية المنتظمة الدقات، المنبعثة من البناء اللفظي الشديد الأسر، وبين العذاب الفذ والوثاق النموذجي "[1] .

٥– المقصد الخامس: كرامة النفوس الراضية المرضية وما تلقاه من النعيم

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[2] .

في هذه الآيات الكريمة جوٌّ من الطمأنينة والرضا ، ونداء من الله عزّ وجلّ على الأنفس المؤمنة، الواثقة من موعود الله عزّ وجلّ ، التي رضيت بقضاء الله وقدره ، فحُقَّ لها أن تنعم بالجزاء العظيم، والنعيم المقيم ، فتدخلَ في رحمة الله عزّ وجلّ ، وتدخل في جنته .

إنه مشهد عظيم يمتلئ " نداوة ورقة ورضى يفيض ، وطمأنينة تتناسق فيها المناظر والأنغام "[3] يبين الله عز وجل من خلاله جزاء المؤمنين الطائعين ، بعد أن بيّن جزاء العصاة الكافرين .

(١) التصوير الفني : ص٩٧ .
(٢) سورة الفجر / ٢٧ – ٣٠ .
(٣) في ظلال القرآن : ٣٩٠٢/٦ .

التحليل المقطعي للآيات الكريمة

يا / أَيْ / يَ / تُ / هَنْ / نَفْ / سُلْ /
ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/
مُطْ / مَ / ئِنْ / نَهْ /*/ ارْ / جِ / عي
ص ح ص/ص ح/ ص ح ص/ص ح ص/*/ص ح ص/ص ح/ص ح ح
إِ / لى / رَبْ / بِ / كِ / را / ضِ / يَ /
ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ ص ح ح/ ص ح/ص ح/
تَنْ / مَرْ / ضِيْ / يَهْ / * / فَدْ / خُ /
ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ * /ص ح ص/ص ح/
لي / في / عِ / با / دي / * / وَدْ / خُ /
ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ * /ص ح ص/ص ح/
لي /جَنْ / نَ / تي /*
ص ح ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح ح/*

وبالنظر في هذه المقاطع يتبين أن عددها (٣٩) تسعة وثلاثون مقطعا ، جاءت على النحو التالي :

١- المقطع القصير المفتوح (ص ح) ، وعدد تجمعاته (١٣) ثلاثة عشر مقطعا .

٢- المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) ، وعدد تجمعاته (١٠) عشرة مقاطع .

٣- المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) ، وعدد تجمعاته (١٦) ستة عشر مقطعا .

وبالملاحظة يتبين لنا :

١- أن المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) قد تفوق في العدد على المقطعين الآخرين ، وهو ما يتناسب مع الجو العام لهذه الآيات الكريمة .

٢- أن المقاطع الطويلة (ص ح ح ص- ص ح ص ص – ص ح ح ص ص) اختفت من هذه الآيات ، وهذا أيضا يتناسب مع مقصد هذه الآيات الكريمة . حيث إن الجو العام لهذه الآيات الكريمة يوحي بالطمأنينة ، فينادي الله عز وجل على عباده " هكذا في عطف وقرب : «يا أَيَّتُهَا» وفي روحانية وتكريم : «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ» .. وفي ثناء وتطمين .. «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» "(١) .

فالمقاطع المتوسطة المغلقة تدل على السكينة ، بما تمتاز به من سكون آخرها ، فالمقطع (ص ح ص) "بخصائصه وسماته الصوتية عمل على تحقيق نوع من التلوين الصوتي والتآلف الموسيقي ، الذي وظف لخدمة المشاهد المعروضة ، وإحداث التأثير في المتلقي ، من خلال التنويع المقطعي والصوتي بشكل متناوب مع المقطع القصير (ص ح) "(٢) .

ينهض التوزيع المقطعي في النص القرآني بوظيفة مزدوجة، فهو يمتاز بتشكيل إيقاعي، وتلوين موسيقي، يجعل منه معزوفة تصدح بها حناجر القراء أثناء الأداء، وتتشوف إليها مسامع الناس خاشعين متلذذين، وهو بهذا التشكيل المقطعي يحقق نظامه الإيقاعي الذي تفوق إمكاناته النغمية كل أوزان الشعر الرتيبة.

ومن جهة أخرى يمنح التلاوة إشراقات دلالية وإيحاءات تعبيرية وتنغيمية تبدو معبرة من خلال المستوى التطريزي ، " {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي

(١) في ظلال القرآن : ٣٩٠٧/٦ .

(٢) النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة : ص٨٧ .

جَنَّتِي} . هكذا في عطف ولطف: {يَا أَيَّتُهَا} وفي روحانية وتكريم: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ} . {الْمُطْمَئِنَّةُ} في وسط هذا الروع. {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ} بما بينك وبينه من صلة وإضافة. {رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} بهذا الانسجام الذي يغمر الجو كله بالرضى والتعاطف. {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} ممتزجة بهم متوادة معهم. {وَادْخُلِي جَنَّتِي} المضافة لي. والموسيقى حول المشهد مطمئنة متموجة رخية. في مقابل تلك الموسيقى القوية العسكرية." (١) .

(١) التصوير الفني في القرآن : ص٩٧ ، ٩٨ .

المبحث الثاني

اختلاف المقطع تبعا لاختلاف القراءة

اختلاف القراءات الواردة في الآيات الكريمة يترتب عليه اختلاف التوزيع المقطعي ، وذلك يكون بزيادة مقطع أو حذفه ، أو زيادة صامت أو حذفه ، أو زيادة حركة أو حذفها ، مما يترتب عليه تغيير في التوزيع المقطعي ، ومما ورد من ذلك :

١ – قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾[١]

قرأ المدنيان وأبو عمرو : "يسري" بالياء وصلا، وقرأها ابن كثير ويعقوب بالياء وقفا ووصلا.[٢]

ولأن التقطيع الصوتي كما بينا قد بني على الوقف على رءوس الآي فبناء على قراءة ابن كثير ويعقوب تغير التقطيع الصوتي لكلمة (يسر) ، حيث كانت على قراءة حفص بحذف الياء ، تتكون من مقطع واحد طويل مغلق (ص ح ص ص) ، ولكنها على قراءة ابن كثير ويعقوب تتكون من مقطعين ، هما (يَسْ – ص ح ص) متوسط مغلق ، (ري – ص ح ح) متوسط مفتوح .

قال الأزهري: " من قرأ (يَسْر) بغير ياء فلأنه رأس آية واقَفتْ رُءوس آيات بغير ياء، ودلت كسرة الراء على الياء. ومن قرأ (يَسري) فلأنه الأصل. واختير حَذْف الياء لأنها لم تثبت في المصحف." [٣] .

---

(١) سورة الفجر / ٤ .

(٢) ينظر : النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) : ٤٠٠/٢ – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان .

(٣) معاني القراءات للأزهري (المتوفى: ٣٧٠هـ) : ١٤٣/٣ – مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م .

٢ – قوله تعالى : ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [١]

قوله تعالى (بالوادي) أثبت ورشٌ الياء وصلا ، وبالياء في الحالين وصلا ووقفا البزي ويعقوب، وأما قنبل فأثبتها وصلا ، واختلف عنه وقفا ، فروي عنه حذفها وروي عنه إثباتها ، والوجهان صحيحان ، والباقون بحذفها مطلقا [٢] .

فبناء على قراءة إثبات الياء وقفا ، اختلف التقطيع الصوتي لهذه الكلمة ، فبعد أن كانت تتكون من مقطعين بالوقف على الدال بالسكون ، وهما (بِلْ – ص ح ص) مقطع متوسط مغلق ، (واد – ص ح ح ص) طويل مغلق بحركة طويلة ، أصبحت تتكون من ثلاثة مقاطع ، وهي : (بِلْ– ص ح ص) مقطع متوسط مغلق ، (وا – ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح ، (دي – ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح .

٣ – قوله تعالى : ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [٣]

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو : (ربيَ أكرمن) بفتح الياء ، والباقون بإسكانها [٤] .

وقرأ البزي ويعقوب (أكرمني) بياء وصلا ووقفا ، ، وقرأها المدنيان وأبو عمرو بإثباتها وصلا لا وقفا ، والباقون بحذفها وصلا ووقفا[٥] .

---

(١) سورة الفجر / ٩ .

(٢) ينظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، لمؤلفه الشيخ عبد الفتاح القاضي : ص٣٤٢ – دار الكتاب العربي – بيروت لبنان .

(٣) سورة الفجر / ١٥ .

(٤) ينظر : الكنز في القراءات العشر لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطيّ (ت٧٤١هـ) : ٧١٦/٢ – تح/ د. خالد المشهداني– مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م .

(٥) ينظر : السابق .

قال الأزهري : " من قرأ – (أكْرَمَني) و(أهَانَني) بالياء فهي ياء الإضافة. ومن كسر النون مكتفيًا بكسرتهاعن الياء فهى لغة." [١] .

فبناء على قراءة فتح الياء من كلمة (ربي) وإثبات الياء وقفا من كلمة (أكرمني) اختلف التوزيع المقطعي لهاتين الكلمتين ، فبعد أن كان تقطيعهما على النحو التالي : (رَبْ – ص ح ص) مقطع متوسط مغلق ، (بي – ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح ، (أَكْ – ص ح ص) مقطع متوسط مغلق ، (رَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (مَنْ – ص ح ص) مقطع متوسط مغلق ، وعددها خمسة مقاطع ، ثلاثة مغلقة واثنان مفتوحان ، أصبح تقطيعهما على النحو التالي : (رَبْ – ص ح ص) مقطع متوسط مغلق ، (بِ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (يَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (أَكْ – ص ح ص) مقطع متوسط مغلق ، (رَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (مَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (ني – ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح ، وعددها سبعة مقاطع، خمسة مفتوحة واثنان مغلقان ؛ وبذلك تفوقت المقاطع المفتوحة على المقاطع المغلقة .

٤ – قوله تعالى : ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[٢]

قرأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَعِيسَى وَخَالِدٌ وَالْحَسَنُ بِخِلَافٍ عَنْهُ وَابْنُ عَامِرٍ: (فقدَّر) بتشديد الدال ، من التقدير ، والباقون بتخفيفها [٣].

---

(١) معاني القراءات : ١٤٤/٣ .

(٢) سورة الفجر / ١٦ .

(٣) ينظر : البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) : ٤٧٤/١٠ – تح : صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت الطبعة ١٤٢٠ هـ ، وحجة القراءات لابن زنجلة : ص ٧٦١ – تح / سعيد الأفغاني – مؤسسة الرسالة – الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

وبناء على قراءة ابن عامر وأبي جعفر فقد اختلف التقطيع الصوتي لهذه الكلمة ، فبعد أن كان تقطيعها على النحو التالي : (فَ – ص ح) ، (قَ – ص ح)، (دَ – ص ح)، (رَ – ص ح) وكلها مقاطع قصيرة مفتوحة ، أصبح تقطيعها على النحو التالي : (فَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (قَدْ – ص ح ص) مقطع متوسط مغلق، (دَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح، (رَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، ونحن نرى هنا أن المقطع الصوتي المغلق المستفاد من تشديد الدال ، قد أفاد شدة التضييق ، حيث أفاد التضعيف هنا المبالغة .

٥- قوله تعالى : ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾[١]

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو : (ربيَ أهانن) ، بفتح الياء ، والباقون بإسكانها [٢].

وقرأ يعقوب والبزي:(أهانني) بإثبات الياء وصلا ووقفا، وقرأها المدنيان وأبو عمرو بإثباتها وصلا لا وقفا، والباقون بحذفها وصلا ووقفا[٣]

فبناء على قراءة فتح الياء من كلمة (ربي) وإثبات الياء وقفا من كلمة (أهانني) اختلف التقطيع الصوتي لهاتين الكلمتين ، فبعد أن كان تقطيعهما على هذا النحو : (رَبْ – ص ح ص) مقطع متوسط مغلق ، (بي – ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح ، (أ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (ها– ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح ، (نَنْ – ص ح ص)

(١) سورة الفجر / ١٦ .

(٢) ينظر : الكنز في القراءات العشر : ٧١٦/٢ .

(٣) ينظر : السابق .

مقطع متوسط مغلق ، وعددها خمسة مقاطع ، مقطعان مغلقان ، وثلاثة مفتوحة ، أصبح تقطيعهما على ما يلي :

(رَبْ – ص ح ص) مقطع متوسط مغلق ، (بِ– ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (يَ– ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (أ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (ها– ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح ، (نَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح، (ني – ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح . فأصبح عددها سبعة مقاطع، ستة مفتوحة ، وواحد فقط مغلق .

٦- **قوله تعالى :﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾**[١] .

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر، وأبو جعفر «ولا تحاضّون» بفتح الحاء وإثبات ألف بعدها، وهو فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين تخفيفا، وأدغمت الضاد في الضاد، وقرأ الباقون«ولا تحضّون» بضم الحاء بدون ألف بعدها، مضارع «حضّ» مضعف الثلاثي [٢] .

فعلى قراءة الباقين اختلف التقطيع الصوتي لهذه الكلمة ، حيث تغير تقطيعها ، فبعد أن كان تتكون من : (تَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (حاضْ – ص ح ح ص) مقطع طويل مغلق بحركة طويلة ، (ضو – ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح ، (نَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، وهي عبارة عن أربعة مقاطع ، ثلاثة مفتوحة وواحد مغلق، أصبحت تتكون من المقاطع التالية : (يَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، (حُضْ – ص

(١) سورة الفجر / ١٨ .

(٢) ينظر : الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمؤلفه د . محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) : ٣٥٣/٣ – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

ح ص) مقطع متوسط مغلق ، (ضو – ص ح ح) مقطع متوسط مفتوح ، (نَ – ص ح) مقطع قصير مفتوح ، وهي أيضا أربعة مقاطع ثلاثة مفتوحة وواحد مغلق ، لكن الاختلاف حدث في المقطع المغلق فتحول من مقطع طويل مغلق إلى مقطع متوسط مغلق .

خـاتمـــة

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الأعمال، وبكرمه وجوده تُدرك الآمال، وعلى وفق مشيئته تتصرف الأفعال، وبإرادته تتغير الأحوال، وإليه المصير والمرجع والمآل، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد النبي المفضال ، وعلى آله وصحبه خير صحب وأفضل آل ما تعاقبت الأيام والليال .

وبعد ....

فبحمد الله وتوفيقه انتهيت من دراسة المقاطع الصوتية في سورة الفجر ، والتي وضحت فيها جماليات التشكيل المقطعي في هذه السورة الكريمة ، وأثر المقاطع بأنواعها في إبراز المعنى بما يتناسب ومقاصد الآيات القرآنية الكريمة ، وقد ظهر لي من خلال هذه الدراسة مجموعة من النتائج ، أهمها ما يلي :

١- اشتملت سورة الفجر على سبعة وستين وثلاثمائة مقطع (٣٦٧) جاءت موزعة على النحو التالي : أكثر المقاطع ورودا المقطع القصير المفتوح (ص ح) وعدده واحد وستون ومائة مقطع (١٦١) ، يليه المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) وعدده واحد وعشرون ومائة مقطع (١٢١) ، ثم المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) وعدده ثمانية وستون مقطعا (٦٨) ، ثم المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة (ص ح ح ص) وعدده اثنا عشر مقطعا (١٢) ، وأخيرا المقطع الطويل المغلق بحركة قصيرة (ص ح ص ص) وعدده خمسة مقاطع (٥) .

٢- ورد في سورة الفجر جميع أنواع المقاطع الخمسة ، المفتوحة والمغلقة ، القصيرة والطويلة ، عدا المقطع المغرق في الطول (ص ح ح ص ص) فلم يرد في هذه السورة الكريمة .

٣- لا يشكل طول الكلمة عيارا يعتد به في الحكم بالفصاحة أو عدمها، خلافا لما هو متداول عند بعض البلاغيين، وإنما العبرة بطبيعة المقاطع التي تتكون منها الكلمة وطبيعة تشكيلها وتتابعها ، من حيث كونها منفتحة أو منغلقة ، قصيرة أو طويلة ، وهو الأمر الذي فاقت به الكلمات الكثيرة المقاطع في القرآن، مثيلاتها في النصوص الإبداعية ، فجاءت فصيحة سليمة من الثقل وتنافر التأليف .

٤- سارت سورة الفجر على وتيرة صوتية منتظمة في توزيع المقاطع الصوتية بحسب الخطاب القرآني ، حيث تنوعت المقاطع بتنوع المقاصد القرآنية الواردة في السورة .

٥- تناول هذا البحث الجانب النظري للمقطع الصوتي ، ثم طبق ذلك على إحدى سور القرآن الكريم ، وهي سورة الفجر ، وبهذا يندرج البحث ضمن الدراسات التطبيقية التي يرتبط فيها الجانب النظري بالجانب التطبيقي

٦- ظهر من خلال هذا البحث أهمية دراسة المقطع الصوتي والتي لا تقل عن دراسة غيرها من الظواهر الصوتية الأخرى في ضبط اللغة السليمة التي تخدم كتاب الله عز وجل .

ثبت المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : المراجع

(١) إعجاز القرآن للباقلاني لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) – تح/ السيد أحمد صقر – دار المعارف مصر – الطبعة الخامسة ١٩٩٧م .

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) – تح/صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت الطبعة١٤٢٠ هـ

(٣) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، لمؤلفه الشيخ عبد الفتاح القاضي – دار الكتاب العربي – بيروت لبنان .

(٤) حجة القراءات لابن زنجلة – تح/سعيد الأفغاني – مؤسسة الرسالة – الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

(٥) التشكيل الصوتي في اللغة العربية فنولوجيا العربية ترجمة الدكتور ياسر الملاح – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٤٨٣م – النادي الأدبي الثقافي – جدة المملكة العربية السعودية .

(٦) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب (المتوفى ١٣٨٥هـ) – دار الشروق – الطبقة الشرعية السابعة عشرة .

(٧) التعبير القرآني د. فاضل صالح السامرائي – دار عمّار – عمان الأردن – الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

(٨) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين الشافعي – إشراف ومراجعة الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي– دار طوق النجاة، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

(٩) تفسير القرآن العظيم «جزء عم» المؤلف: عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي – دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م .

(١٠) تفسير المراغي لمؤلفه أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى ١٣٧١هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م .

(١١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لمؤلفه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) – تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م .

(١٢) دراسات في علوم القرآن – محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) – دار المنار – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ–١٩٩٩م .

(١٣) دراسة الصوت اللغوي د . أحمد مختار عمر – عالم الكتب ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(١٤) السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) – حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي – أشرف عليه : شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة– بيروت– الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ /٢٠٠١ م .

(١٥) صحيح الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى ٢٦١هـ) – تح/ محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(١٦) علم الأصوات تأليف برتيل مالمبرج – ترجمة ودراسة د . عبد الصبور شاهين – مكتبة الشباب .

(١٧) علم الأصوات د . كمال بشر– دار غريب للطباعة والنشر ٢٠٠٠م .

(١٨) علوم القرآن لرشدي عليان وآخرين – دار الكتب للطباعة والنشر – الموصل (بغداد) ١٩٨٠م .

(١٩) في ظلال القرآن لمؤلفه سيد قطب (المتوفى ١٣٨٥هـ) – دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة السابعة عشرة ١٤١٢هـ .

(٢٠) الكنز في القراءات العشر لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ) – تح/ د. خالد المشهداني – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(٢١) لباب التأويل في معاني التنزيل لمؤلفه علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى٧٤١هـ) – تصحيح: محمد علي شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى١٤١٥هـ .

(٢٢) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى٧١١هـ) – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ .

(٢٠) مباحث في علوم القرآن – صبحي الصالح – دار العلم للملايين – الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠م .

(٢٣) المدخل إلى علم أصوات العربية ، د . غانم قدوري الحمد – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م – دار عمّار للنشر والتوزيع – عمّان الأردن .

(٢٤) معاني القراءات للأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى٣٧٠هـ) – مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى١٤١٢هـ /١٩٩١م .

(٢٥) موسيقى الشعر د . إبراهيم أنيس – الطبعة الثانية ١٩٥٢م – مكتبة الأنجلو المصرية .

(٢٦) النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان .

(٢٧) النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة – دراسة صوتية وصفية تحليلية – أطروحة ماجستير للباحث عادل عبد الرحمن عبد الله إبراهيم – الجامعة الإسلامية – غزة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

(٢٨) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمؤلفه د . محمد سالم محيسن (المتوفى١٤٢٢هـ) – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م .